مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيّ
أَمِيرُ العَرَبِ، وَأَحَدُ أَبطَالِ
الإِسْلَامِ، وَعَيْنُ الأَجْوَادِ

معن بن زائدة الشيبانى
فى سطور

هو أمير العرب ، أبو الوليد الشَّيبانى ، أَحدُ أبطال الإسلام و أشهرُ أجواد العرب ، وحُلمائهم . وكان القائد الذي مكن لبني العباس.

ولاّه الخليفة المنصور اليمن ، ثم سجستان ، ودخل عليه مرة فقال له : كبرتْ سنُّك يا معن !

فقال : فى طاعتك .

قال : إنك لتَتَجَلّد .

قال : لأعدائك .

قال: وإن فيك لبَقيّة .

قال : هى لك يا أمير المؤمنين !

ولمعن أخبار فى السخاء والكرم ، وأخرى فى البأس والشجاعة ، وله نَظْم جيد ، وكلام فصيح والناس يعرفونه بالحلم ، لقى ربه سنة اثنتين وخمسين ومئة .

رحم الله «معن بن زائدة» كان جَوَادًا شُجاعاً ، جزيل العَطاء كثير المعارف ، ممدوحاً مقصودًا .

وكان الشاعر «مروان بن أبى حفصة» قد تفرغ لمدحه ، وأجود ما قاله مروان قصيدته الغراء اللامية التى تناهز ستين بيتا وهى التى فُضِّل بها على شعراء زمانه ، وفيها يقول مادحاً:

تَجَنّب «لا» فى القولِ حتّى كأنّه
حَرَام عليه قولُ «لا» حين يُسْأَلُ

تشـــابه يَوْمَـــاهُ علينا فـــأشكلا

فـلا نحنُ ندرى: أىّ يومـيـه أفـضل ؟!

أيومُ نداهُ الغَـمْـر ، أم يوم بُؤسِـه ؟!

ومـــا منْهـمـــا إلا أَغَـرُّ مُـحَـجّلُ

بَهَـالِيلُ فى الإسـلام سـادُوا ولم يكن

كـــأوّلِهم فـى الجـــاهلـيـــةِ أوّلُ

ولولا خوف الإطاله لذكرتها كلها !

فهذا ـ لَعْمرى -هو السّحر الحلال ، المنقح لفظا ومعنى .

فتعال إليه نسعد بلقياه [1].

شَرَاحيل بن مَعْن وولد لمروان بن أبى حفصة

لم ينل أحد من الشعراء الماضين ما ناله الشاعر «مروان بن أبى حفصة» بشعره فى مدح « معن بن زائدة» .

ويقـال: إنه قـد منحـه أحـد الخلفـاء ثلاث مـئـة ألف درهم بسبب بيت واحد كما يقول الخليفة الشاعر ابن المعتز .

ويحكى أن ولدًا للشاعـر «مـروان بن أبى حفصـة» دخل على «شراحيل بن معن بن زائدة» فأنشده :

أيـا شـــــراحـــــيلَ بـنَ مَـــــعْـن

يا أكـرمَ النـاسِ من عـجم ومـن عَـرَب

أعطى أبوك أبى مـــالاً فـــعـــاشَ به

فـأعطِنى مـثلَ مـا أعطَى أبوك أبى

(١) جاء فى الأعلام : معن زائدة : من أشهر قواد العرب وأجوادهم . أدرك العصر العباسى ، وولاه المنصور اليمن ، ثم سجستان ، فقتل هناك غيلة سنة ١٥١هـ [الأعلام] ٨: ١٩٢] .

مـــا حَلّ قَطُّ أبى أرضـــاً أبوك بهـــا

إلا وأَعْطـاه قِنـطـارًا مـن الـذهـب

فأعطاه شراحيل بن معن بن زائدة قنطارًا من الذهب !

وهكذا أشبه «شراحيل أباه ، ومن شابه أباه فما ظلم !

وينشـــأ نا شئ الفـــتـــيـــان منا

علـى مـــــا كـــــان عـــــوّده أبـوه !

مَعْن بين عهدين

كان معن فى أيام «بنى أمية» متنقلا فى الولايات ، ومنقطعا إلى «يزيد بن عمر بن هُبَيْرة الفزارى» أمير العراقيين [1]: «البصرة والكوفة» فلما انتقلت الدولة إلى «بنى العباس» ، وجرى بين «أبى جعفر المنصور» وبين «يزيد بن عمر» من محاصرته بمدينة «واسط»، وقف «معن» إلى جانبه ، وأبلى بلاء حسنا ، فلما قُتِل «يزيد» خاف معن من «أبى جعفر» ، فاستتر عنه مدة، وجرى له مدة استتاره عجائب وغرائب !

ولم يزل مستترا حتى كان «يوم الهاشمية» وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من «أهل خُراسان» على المنصور ، فوثبوا عليه ، وجرت مقتلة عظيمة ، بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية، وهى مدينة بناها «السفاح» بالقرب من الكوفة ، وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكرا مُعْتَمًّا متلثِّمًا ، وتقدم إلى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أظهر فيه نجدة وشهامة ...

وإليك بعض ما حدث عندما كان مستترا .

(١) ذكر ابن عساكر فى تاريخه الكبير أن أصله من الشام ، وأنه وَلِى قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك ،وكان مع مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية يوم غلب على دمشق ، وجمع له ولاية العراق. وكان معن بن زائدة من أكبر أعوانه فى الحروب .

لما خاف معن بن زائدة من المنصور استتر واستخفى ، فنودى عليه :

من جاء به أُعطِى ألفَ دينار ، فخرج «معن» من باب المدينة ، وهو مُلَثّم ، فظفر به «عبد أسود» ، وتركه حتى استخفى ، فقبض عليه ، وأمسك به ، فقال له معن : ما حملك على هذا ؟

فقال : أريد أن أقودك إلى المنصور ليعطينى ألفَ دينار !

فأخرج له «معن» «عِقدَ جوهر» قيمته ثلاثة آلاف دينار ، وقال : خذ هذا زيادة على ما طلبت ، وهب لى نفسى وادّخر الصنيعة عند مثلى ، فهو أربحُ لك من الدنيا!

فلما قبضَ العبدُ العقد ، قال له :

لن أتركك ، ولن أخلّى بينى وبينك حتى تصدقنى عن سؤال أسألك عنه !

فقال : سَلْ عما شئت .

فقال : أنت أميرُ الكرماء ، فهل فيما تكرمت أن جدت بجميع مالك ؟

قال : لا .

قال : فبنصف ما تملكه ؟

قال : لا

فقال : فبثلث مالك ؟

قال : نعم .

فقال له العبد الأسود : أنا رجل فقير ، ورزقى فى كل يوم عشرون درهما ، وما ملكت قط دينارًا أحمرَ، وما أنا أمير أو وزير ، وقد رضيت وسمحت نفسى أن أتركك - بسبب جودك وكرمك - لوجه الله تعالى!

وهذا «العقد» هبة منى إليك !

فقال له معن : لا أفعل ، ولا أرضى به !

فخلاّه ، ومضى ، وهو يبث الشكر والدعاء !

قال معن : فاستصغرت نفسى ، وداخلنى العجب ، ولو لم أكن مستخفيا لأكرمته ، ولم أجعله يفارقنى أبداً!!

وهأنذا أبحث عنه هنا وهناك لعلى أعرفه وألقاه، وكأن الأرض ابتلعته !

وإلى الآن ما رأت عينى أكرم منه !

وأراك تقول فى نهاية المطاف :

وإنما المرء حديث بعده

فكن حديثا حسنًا لمن وعى

مِثْلُك يُصْطَنَعُ (*)

طلب المنصور «معن بن زائدة» زمنا ، ومازال مستترا حتى كان يوم الهاشمية ، فلما وثب القوم على المنصور ، وكادوا يقتلونه ، وثب «معن» وهو ملتثم ، فانتضى سيفه [1] ، وقاتل ، فأبلى بلاءً حسنا، وذَبّ القوم [2] عنه حتى نجا ، وهم يحاربونه بعد .

(*) المهذب (ص ٨٨ ج٩) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (رقم ٧٠٣) . ويُصْطَنَع : يُختار .

(١) أخرجه من غمده وشهره . (٢) نحاهم وطردهم .

ثم جاء والمنصور راكب بغلة ، ولجامها بيد الربيع، فقال له : تَنَحّ فإنى أحق باللجام منك فى هذا الوقت ، وأعظم فيه غَنَاءً[1].

فقال له المنصور : صدق ! فادفعه إليه ، فأخذه ، ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال .

فقال المنصور : من أنت؟ لله أبوك [2] !

قال : أنا طَلِبَتُك «مطلوبك الهارب» يا أمير المؤمنين: معن بن زائدة .

قال : قد أمَّنك اللّهُ على نفسك ومالك ، ومثلُك يُصطَنَع [3] ، ثم أخذه معه ، وخلع عليه [4] ، وحباه وزينه .

ثم دعا به يوما فقال له : إنى قد أمَّلتك لأمر فكيف تكون فيه ؟

قال : كما يحب أميرُ المؤمنين !

قال : قد وليتُك «اليمن» فابسط السيف فيهم حتى ينقضى حِلَف ربيعة واليمن ، وابلُغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين !

احملنى أيها الأمير

قال الصاحب بن عباد :

قرأت فى أخبار «معن بن زائدة الشَّيبانى» أن رجلا قال له : احْملنى أيها الأمير !

فأمر له بناقة ، وفرس ، وبغل ، وحمار ، وجارية !

---

(١) نفعاً .
(٢) تعجب .
(٣) يتخذ صنيعة ، ويعتمد عليه .
(٤) أمر له بكسوة .

ثم قال : لو علمت أن الله خلق «مَرْكُوبا» غير هذه لحملتك عليه .

وقد أمرنا لك من الخَزّ «الحرير ، أو نسيج من صوف وحرير» بجُبة وقميص ، وعمامة ، ودُرّاعة «جبة مشقوقة من مقدمها» وسراويل ، ومنديل ، ومُطرف «ثوب من خز مربع ذى أعلام» ، ورداء ، وكساء ، وجَوْرب ، وكيس .

ولو علمنا لباسا من الخَزّ غير هذا لأعطيناكه !

مَعْن والأعرابىّ

روى أن «معن بن زائدة» ، خرج فى جماعة يصيدون فاعترضهم «قطيعُ ظِباء» فتفرقوا فى طلبه، وانفرد «مَعْن» خلف ظبى ، فلما ظفر به ، نزل وذبحه !

وهنا رأى شخصا مُقْبلاً من البَرِّية «الصحراء» على حمارٍ له، فركب فرسه ، واستقبله ، وسلّم عليه، وقال له :

من أين أتيت ؟

قال : من أرض قُضَاعة ، وإن لى بها أرضًا لها عدة سنين مُجْدبة ، وقد أخصبت هذه السنة فزرعتها «قِثَّاء» فأثمرت فى غير وقتها ، فجمعتُ منها ما استحسنته ، وقصدت «الأمير مَعنَ بن زائدة» لكرمه المشهور ، ومعروفه المأثور ، وإحسانه المذكور!

فقال له : كم أمَّلتَ منه ؟

قال : آمُل أن يُعطيَنى ألفَ دينار !

قال : فإن قال لك : كثير !

قال : ثلاث مئة .

قال : فإن قال لك : كثير .

قال : مئتين .

قال : فإن قال لك : كثير!

قال : فلا أقل من ثلاثين .

قال : فإن قال لك : كثير!

قال : أدقّ قوائم حمارى فى بابه ، وأرجع إلى أهلى خائباً !

فضحك «معن» منه ، وساق جَوَادَه ، حتى لحق بعسكره ، ونزل منزله ، وقال لحاجبه :

إذا أتاك الشيخُ على حمار بقثاء[1] فأدخله عَلَىّ ، فأتى الرجل بعد ساعة ، فلما دخل على «الأمير معن» لم يعرفه لهيبته وجلاله ، وكثرة خدمه وحشمه، وهو جالس على كرسيّه، ومن حوله حَفَدَةٌ[2] قيام عن يمينه وشماله ، وبين يديه ، فلما سلم عليه ، قال له الأمير معن :

ما الذى أتى بك يا أخا العرب ؟

قال: أمَّلْتُ الأمير ، وأتيتُه بقثّاءَ فى غير أوانها .

قال : فكم أمّلت فينا ؟

قال : ألف دينار ، قال: كثير .

قال : خمس مئة دينار . قال : كثير .

قال : ثلاث مئة دينار . قال : كثير .

---

(١)نوع من البطيخ قريب من الخيار لكنه أطول منه واحدته قثاءة .

(٢) جمع حفيد ، وهم أولاد الأبناء .

قال : مئة دينار . قال كثير .

قال : والله لقد كان ذلك الرجل الذى قابلنى علىّ مشئوماً .

ثم قال : خمسين دينارًا . قال كثير .

قال : فلا أقلّ من ثلاثين .

قال : فضحك معن ، وسكت .

فعلم الأعرابى أنه صاحبه ، فقال :

ياسيدى ، إذا لم تعطنى الثلاثين ، فالحمار مربوط بالباب ، وهأنذا مع معن جالس ، فضحك معن ، حتى استلقى على قفاه ، ثم استدعى وكيله ، وقال له :

أعطه ألف دينار ، وخمس مئة دينار ، وثلاث مئة دينار ، ومئتى دينار ، ومئة دينار ، وخمسين دينارا ، وثلاثين دينارًا ، ودع الحمار مربوطًا مكانه !

فبُهت الأعرابى ، وأخذ جميع ذلك وانصرف !

أين نَرْحَلُ بعد مَعْنٍ ؟!

«مروان بن أبى حفصة» شاعر يُجيد المديح ، وقد نشأ فى أواخر عصر بنى أمية ، وتألق فى عصر بنى العباس ، وخص «معن بن زائدة» بمدحه ، فأجزل له العطاء ، ووهب له الجوائز السَّنِيَّة ، كما عرفت من قبل !

وقد روى عن «الفضل بن الربيع» قال : رأيت «مروان بن أبى حفصة» ، وقد دخل على أمير المؤمنين المهدى ، بعد وفاة «معن ابن زائدة» فى جماعة من الشعراء ، فيهم «سَلْمٌ الخاسر» وغيره ، وأنشأ مديحا فى المهدى ، فقال له :

ومَن أنت ؟ قال : شاعرك يا أمير المؤمنين : «مروان بن أبى حفصة» ، فقال له المهدى :

ألست القائل فى معن ؟

أقَمْنَا باليَمامةِ بعدَ مَعْنٍ
مُقَامًا لا نُريدُ به زَوَالاَ

وقلنا : أين نرحل بعد مَعْنٍ
وقد ذهب النّوال فلا نوالا ؟!

قد ذهب النوال «العطاء» فيما زعمت - فلم جئت تطلب نوالنا ؟! لا شىء لك عندنا !! . جُرّوا برجله ، فجرُّوا برجله حتى أُخرج !

فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء ، وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء مرة كل عام ، فمثُل بين يديه ، وأنشد - بعد رابعٍ أو خامسٍ من الشعراء - قصيدة يمدح بها المهدى فقال :

طَرَقَتْكَ زائرةً فَحَىَّ خَيَالَها
بَيْضَاءُ تخلِطُ بالجمالِ دَلاَ لَها[1]

قادت فؤادكَ فاستقاد ، ومِثْلُها
قادَ القُلُوبَ إلى الصّبَا فأَمَالَها

قال فأنصت له الحاضرون ، حتى بلغ قوله :

هَلْ تَطْمِسُونَ من السماء نُجومَها
بأَكُفِّكُم أَوْ تَسْتُرونَ هِلاَلَها ؟!

(١) من عادة الشعراء افتتاح قصائدهم بالغزل ، ومحبوبته طرقته زائرة فأخذ يحيى خيالها وبدا له منها جمال ودلال فإذا به ينقاد لها ، وإذا بقلبه يميل إليها .

أو تجـحَـدُونَ مَـقَـالةً مِنْ رَبِّكم

جـبـريلُ بلَّغـهـا النبىّ ، فـقَـالَهـا

شَـهِـدتْ من الأنفـالِ آخـرُ آيَةٍ

بتُـراثِهِمْ ، فـأرَدْتُمُـو إبْطالَهـا [1]

قال الفضل : فرأيت المهدىّ ، قد زحف من صدر مُصَلاّه ، حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال : كم هى ؟

قال مروان بن أبى حفصة : مئة بيت يا أمير المؤمنين!

فأمر له بمئة ألف درهم !

فكانت أول مئة ألف درهم أعطيها شاعر فى بنى العباس ، ورحم الله مَعْنَ بن زائدة !

إذا عرف السبب بطل العجب !

كان الأمير «معن بن زائدة» يقدم ابن أخيه «يزيد» على أولاده ويحتفى به أكثر مما يحتفى بهم !

فعاتبته فى ذلك زوجته ، فقال لها : سأريك ما تبسطين به عذرى فى تفضيل ابن أخى على أولادى!

ولما جَنّ الليل ، طلب الأميرُ إلى خادمه ، أن يدعوَ أولاده إلى مجلسه ، فلم يلبثوا حتى جاءوا فى الغلائل [2] المطيبة ، والنعال المزركشة ، فسلّموا وجلسوا .

وقال الأمير لخادمه : ادْعُ ابنَ أخى «يزيدَ» .

فلم يَلْبَثْ أن حضر «يزيد» عَجِلاً ، وعليه سلاحهُ ، فوضع

(٢) وهي الآية (رقم ٧٥) وفيها ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ والعباسيون ينتمون إلى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) الغلائل جمع غلالة ، ويراد بها الملابس عليها الطيب «العطر» .

رُمْحَه بباب المجلس ، ثم دخل ؛ فقال له عمه:

«ما هذه الهيئة ؟» فأجاب :

جاءنى رسولُ الأمير ، فسبق وهمى إلى أنه يريدنى لمهم من الأمر، فلبست سلاحى ، وقلت :

إن كان الأمر كما توهمت مضيت لما يريده دون أن أضيعَ وقتاً !

وإن كان غير ذلك ، فإن نزع السلاح من أيسر الأشياء !

هنا رغب الأمير إلى أولاده ، وإلى ابن أخيه فى الانصراف ، فلما مضوا عنه ، التفت إلى زوجته يقول لها :

أما زِلْتِ عاتبة علىّ فى تقديم ابن أخى على أولادى ؟!

قالت : أما الآن ، فقد استبان لى عذرك !

وأقول : إذا عُرِفَ السببُ بَطَل العجب!

أَيَا جُودَ مَعْن ...

قيل : كان «معن بن زائدة» عاملا على العِراقين : «البصرة والكوفة» وكان بالبصرة ، فقصده شاعر ، أقام مدة يريد الدخول على «معن» فلم يتيسر له ذلك !

قال يوما لبعض خدم معن : إذا دخل الأمير البستان فأعلمنى !

فلما دخل أعلمه ، فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة، وألقاها فى الماء الذى يدخل بستان معن .

فلما بَصُر بالخشبة أخذها ، وقرأها ، فإذا فيها مكتوب :

أيا جـودَ مَـعْنٍ ناج مـعناً بحـاجـتى

فـمـالـى إلى مَـعْنٍ سـواك سـبـيلُ!

فقال : من صاحب هذه ؟

فدعا بالرجل فقال له : كيف قلت ؟ فأنشد البيت ، فأمر له بعشر بدَر [1] .

فلما كان فى اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط ، وقرأ ما فيها ودعا بالرجل ، فدفع إليه مئة ألف درهم ، وكذلك فى اليوم الثالث .

فلما أخذها الرجل أخذ يفكر ، وخاف أن يؤخذ منه ما أُعْطِى !

فقرر العودة والانصراف !

فلما كان فى اليوم الرابع ، قرأ ما فيها ، ودعا بالرجل ، فطُلب ، فلم يُوجَد ، فقال معن :

حق علىّ أن أعطيَه حتى لايبقى فى بيت مالى دينار ولادرهم !

محاولات يائسة لإغضاب معن !

اتفق جماعة من الشعراء على إغضاب «معن بن زائدة» ؛ إذ كان لا يغضب !

وجعلوا لمن يفعل ذلك مئة بَعير !

فعَمَد أحدهم إلى جلد ناقَة ، ولَفّ به جسمَه ، وجعل ناحية اللحم إلى الخارج ، فجعل الذّبابُ يتساقط عليه !

---

(١) جمع «بدرة» وهي صرة فيها مقدار من المال على قدر معطيها .

ثم دخل على مَعْن ، وجلس على سَريره [1] ، ولم يُسَلِّم ، وقال:

أنا - والله - لا أُبْدِى سَـــلامَـــا

على مَـعْنٍ بتـسليم الأمـيـر [2]!

فقال معن : السلامُ سُنّة ؛ إن سلّمت رددنا عليك، وليس فى تركه ضَيْر [3] ! ، فقال :

أتذكُـــرُ إذْ لحـــافُك جلْدُ شـــاةٍ

وإذ نَعْـلاك من جِلْد البَـعـيـر ؟!

فقال معن : أذكرُ ذلك ، ولا أنساه !، وهل ينسى أحد قديمه؟ فقال :

وتأوى كلّ مـــصطبـــة وســـوقٍ

بلا عَـــبْـــدٍ لديك ، ولا وَزير

ونومَك فى الشـــتـــاءِ بلا رداءٍ

وأكلَك دائمـا خُـبـزَ الشـعـيـر

فقال معن : الحمدُ لله لا لك يا أخا العرب ، فقال:

وفى يُـمـنـاك عُـكّـازٌ قـــــــوىٌّ

تـذودُ بـه الكِلابَ مـن الهَـــرير [4]

فقال معن : ذلك فضلُ اللهِ يؤتيه مَن يشاء من عباده ! فقال:

ســـأرحَلُ عن بلادٍ أنت فـيـهـا

ولوجَـارَ الزّمـانُ على الفـقـيـرِ

فقال معن : إن جاورتنا فمرحبا بالإقامة ، وإن فارقتنا صاحَبتْكَ السلامة !

---

(١) كرسي الإمارة .
(٢) أى : لن أقول : سلاما أيها الأمير .
(٣) بأس وحرج وضرر .
(٤) الهرير : النباح .

فقال :

فـــجُـــدْ لى يابنَ ناقـــصـــةٍ بمالِ

فـــإنى قـــد عـــزمتُ على المســـيـــرِ

فقال معن : أعطوه ألفا ! ؛ فقال :

قـلـيـلٌ مـــــــا أتـيـتَ بـه وإنـى

لأ طمَعُ منك فى الشىء الكثـيـــر!

فقال معن : أعطوه ألفاً أخرى ! ؛ فقال :

ســـألتُ اللهَ أنْ يُبـــقـــيك دَهرًا

فـمـالك فى البَـريةِ [1] مِنْ نظيـر

فـمنك الجُـودُ والإحـســانُ حـقًـا

وفـضل نَدَاك [2] كـالبـحـر الغَـزير

فـقـال مـعن : أعطيناه ألفين على ذمّنا ، فلْيُـعْطَ ألْفين على مدحنا ! فبكى الشاعر ، فقال مَعن : ما يُبكيك يا أخا العرب ؟!

فقال : تذكرت أن مثلك يعتريه الموت ! ، ثم قال :

لعَـمْـرُك مـا الرّزيّة فـقـدُ مـالٍ

ولا فـــرسٌ يموت ، ولا بعـــيـــرُ

ولـكنّ الـرزيـةَ فـــقـــدُ حُـــرٌ

يموت بموته خَلْق كـــثـــيـــر !!

فقال معن : وما حملك على هذا يا أخا العرب ؟!

قال : راهننى قوم على إغضابك ، وجعلوا لى إن استطعت مئة ناقة ، ولهم منى مثلها إن لم أفعل!

فقال مَعْن : أعطوه النُّوق!!

---

(١) البَرية : الخلق .

(٢) نداك : جودك وكرمك .

ماذا أقولُ لبنات العم ؟!

أقام رجلٌ على باب معن ، فلما طال مُقامُه ، كتب رُقعَةً يقول فيها :

فـمـا فى يَدَيْك الخـيـرُ يا مـعنُ كُلُّه

وفى الأرض أسـبـابٌ ، وفـيـهـا مـذاهبُ

سـتـأتى بنات العَمِّ ، مـا أنت صـانعٌ

إذا فـتِّـشَتْ - عند الإياب - الحـقـائبُ؟!

وكلف من يوصل هذه الرّقعة إلى معن ، وانصرف!

فلما وصلت إليه ، أمر بردّه عليه ، وقال :

والله ليُفَتَّشَنّ عن خَيْرٍ كثير !

وأمر فمُلئت حقائبهُ دراهم !

لقد كان يسيطر علي أولئك الأجواد الأخيار مبدأ يرى أن من قطع رجاء من ارتجاه ، خيّبَ الله رجاءه!

وهكذا وَسِعُوا الناس بقلوبهم وأموالهم وكرمهم ، وحسن لقائهم ، فعاش الجميع سعداء قريرى العين !

ماذا تصنع بأضيافك ؟!

ذات يوم أُتِى مَعْن بن زائدة بأسرى ، فعرضهم على السيف ، فقال له بعضهم : نحن أسراك أيها الأمير ، ونحن جياع!

فأمر لهم بشئ من الطعام فأُحضر!

وأمر بأنطاع [1] الدم فبسطت ، وأُتى بالطعام ، فقال المتكلم

(١) الأنطاع : جمع نطع ، وهو بساط من جلد كثيرا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل ، يقال : على بالسيف والنطع ! أى : آتونى بهما .

بلسان الأسرى لمن معه :

أمعنوا فى الطعام ، وأطيلوا - ومعن ينظر إليهم ويتعجب منهم - فلما فرغوا من أكلهم ، قال قائلهم:

أيها الأمير ، قد كنا أسراك ، ونحن اليوم أضيافك ، فانظر ما تصنع بأضيافك ؟

فعفى عنهم ، وخَلَّى سبيلهم ، فقال له بعض من حضر: ما نَدرى أيها الأمير ، أى يوميك أسَرّ وأشرف: أيوم ظفرك ، أم يوم عفوك ؟!

وقد علمنا ربنا سبحانه أن نتحلى بفضيلةالعفو فقال : ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى ولاتنسوا الفضل بينكم ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٧]

وقال ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ [سورة التغابن : ١٤]

أجرنى يا أبا الوليد أجارك الله

أهدر الخليفة المهدى دم [١] رجل من أهل الكوفة كان يسعى فى فساد دولته ، وجعل لمن دل عليه ، أو جاء به مئة ألف درهم !

فأقام الرجل حيًّا متوارياً عن الأنظار بمدينة السلام «بغداد» ، وبينما هو يمشى مستخفيا فى بعض نواحيها إذ بَصُر به رجل من أهل الكوفة ، فعرفه ، فأخذ بمجامع ثيابه و قال : هذا بُغيةُ أمير المؤمنين [٢]!

فبينما الرجل على تلك الحال إذ سمع وقع الحوافر من ورائه ، فالتفت فإذا «معن بن زائدة» فقال :

---

(١) أباح قتله بلا دية ، وجعل دمه هدراً بلا مقابل .

(٢) البُغية : ما يبتغى ويطلب .

يا أبا الوليد ، أجرنى أجارك الله!

فوقف معن ، وقال للرجل الذى تعلق به : مَا شَأنُك؟

فقال : بُغْيةُ أمير المؤمنين الذى أهدر دَمَه ، وجعل لمن يدل عليه مئة ألف درهم !

فقال معن لغلامه : يا غلام ، انزل عن دابتك ، واحمل الرجل عليها !

فصاح المتعلق به مستغيثا :

يا لَلنَّاس ! أيحال بينى وبين طَلِبَةِ أميرِ المؤمنين؟!«مطلوبه»

فقال له معن : اذهب وخبره أنه عندى ، فانطلق الرجل إلى «المهدىّ» فأخبره ، فأمر بإحضار معن ، فأتته الرسل ، فدعا أهل بيته ومواليه ، وقال :

لا يخلص هذا الرجل منكم حتى لا يبقى فيكم عين تطرف !

ثم إن معنًا سار إلى المهدى ، فدخل عليه ، وسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام ، فقال لمعن : أتجيرُ عَلىّ [1] ؟

فقال : نعم يا أمير المؤمنين!

فقال المهدى : و«نعم» أيضا ؟! ، واشتد غضبه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قتَلتُ - فى طاعتكم - باليمن فى يوم واحد ، خمسة عشر ألفا ، إلى أيام كثيرة ، وقد تقدم بى بلائى ، وحسن عنائى ، فما رأيتمونى أهلا أن تهب لى رجلا واحًدا استجار بى !

فأطرق المهدى طويلا ، ثم رفع رأسه ، وقال - وقد سُرّىَ [2] عنه الغضب - قد أجَرْنا من أجَرْت يامعن !

قال معن : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يصلَه [3] ، فيكون قد

(١) أتعطي جوارك وأمانك لمن أهدرت دمه ؟

(٢) زال وذهب وهدأت نفسه .

(٣) يعطيه صلة ومالا .

أحياه وأغناه !

قال المهدى : قد أمرنا له بخمسين ألف درهم !

قال معن : إن صلة الخلفاء تكون على قدر جنايات الرعية ، وإن ذنبَ الرجل عظيم ، فأجزل له العطاء !

قال : قد أمرنا له بثلاث مئة ألف !

قال : فعَجِّلها ، فإن خيرَ البر عاجلُه!

فأمر بتعجيلها له ، وانصرف مَعْن بالمال إلى الرجل وقال له: خذ صِلَتَك ، والحقَ بأهلك ، وإياك ومخالفة الخلفاءِ !

وإن عُدْتَ فأنا غريمك ، ولن تجدنى شافعا لك .

فانصرف الرجل ، وقد ردّت إليه حياته على يد معن بن زائدة !

وبعد .. فهذا هو معن بن زائدة .. أمير العرب .. وأحد أبطال الإسلام . وأحد الأجواد الكرام .